التراث الشفوي في الجنوب الجزائري
منطقة متليلي الشعانبة "انموذجا"

مليكة بن قومار Malika BENKOUMAR
طالبة دكتوراه بجامعة غرداية
مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري بجامعة غرداية.
البريد الالكتروني: malikabenkoumar47@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/02/15	2019/05/07	2019/12/01

الملخص:

يهدف موضوع دراستنا هاته إلى كشف الستار عن أهم أشكال التراث الشفوي التي تزخر بها منطقة متليلي الشعانبة في الجنوب الجزائري، وذلك باعتباره جزءا مهما من أصل التراث الشعبي في المجتمعات ومرجعية مهمه له، كما أنه يحمل أهمية كبيرة من حيث دوره الفعال في تغذية العقل الجماعي ومده بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام والمحافظة على الهوية الثقافية للشعوب، وبذلك أصبح هذا الموضوع يكتسي أهمية كبرى من الناحية الثقافية والحضارية للدول، وبعد انتهائنا من هذه الورقة البحثية توصلنا إلى بعض النتائج من أهمها:

– تزخر مناطق الجنوب الجزائري وخاصة منطقة متليلي الشعانبة بأشكال متنوعة من التراث الشعبي الشفوي وقد تناولنا بعض النماذج منها.

– يعد التراث الشفوي في منطقة متليلي الشعانبة أحد أهم الوسائل التي تُعرِّف بطبيعة المجتمع الشعانبي وببنيته.

– يشكل التراث الشفوي للشعانبة رصيدا ثقافيا وأدبيا مهما للباحثين يجب المحافظة عليه وتدوين.

الكلمات المفتاحية: *التراث الشفوي؛ أشكال التراث الشفوي ؛ تراث منطقة متليلي الشعانبة.*

Oral great heritage in the south of Algeria:
" Metlili Chaanba area as a model"

Summary:

The objective of this study is to shed light on the most important oral heritage in Algeria exactly in Metlili Chaanba area which situated in department of Ghardaia in the south of Algeria .The oral heritage considered a cornerstone of the public heritage in that society, and a great reference. In addition it carries on effective role in rising people awareness and values, besides it preserves the cultural heritage and the nation's identity. This has thus become of great cultural and civilizational importance to States.

The most important results of this research are:

- The South of Algeria, is rich of various feature of public folklore, specially the oral one in Metlili Chaanba .
- Oral heritage in the area of Mtlili Chaanba is one of the most important means of knowing the nature and structure of the Chaanba society.
- The oral heritage of the Chaanba is an important cultural and literary resource for researchers to be preserved and codified for next generations.

Keywords : *Oral heritage ; forms of oral heritage* ***;*** *Metlili Chaanba area*

مقدمـــــــــة:

إن التراث الشعبي العربي يكشف لنا عن الدور البارز الذي قام به الإنسان العربي في بناء الوجود الإنساني المتطور والتحرر من المعوقات التي حاولت أن تعوق تطوره عبر التاريخ وهو يصنع في مكانه الطبيعي بين أبناء البشرية الذين أسهموا في صناعة حضارتها .

والتراث الشعبي العربي ليس ابن الجزيرة العربية وحدها وان كانت أصلا رئيسيا فيه، فهو ابن المنطقة الإسلامية وكلها شاركت في صنعه وحملت إليه معطياتها القديمة، مع ما حملت إليه أيضا من وجودها البشري، وكيانها الجغرافي ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى، وهذا الثراء يعكس بلا شك ثراء الشخصية العربية ويرسم أهمية دورها الحضاري في بناء حضارة الإنسان[1].

فالتراث الشعبي يُعرَّف بأنه جميع الممتلكات الثقافية الثابتة منها والمنقولة المادية واللامادية التي ورثها الجيل الحالي عن الأسلاف ولها قيمة ثقافية حضارية لا يمكن تعويضها إن فقدت أو أتلفت[2] .

ويعتبر التراث الشعبي الشفوي جزءا مهما من أصل التراث الشعبي في المجتمعات ومرجعية مهمه له، لأنه يحمل أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجماعي ومده بالقيم إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام فالتراث بمعناه العام إذن يشمل كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الدينية والفكرية والأدبية والتاريخية والأثرية والمعمارية...الخ.

ويكون ذلك في أخلاق أمة ما وأنماط عيشها وسلوكها بغض النظر عن اختلاف الأديان والمذاهب.

أما معناه الخاص فانه يطلق على إنتاج الفكر البشري الذي سبقنا فالإنسان المعاصر يصبح هو بدوره من التراث بعد فترة قصيرة[3].

إذن التراث هو مجموع ما تتوارثه أجيال أمة من نتاج فكري وإنجاز مادي وما يضيف إليه كل جيل من إسهامات وهو بهذا المعنى نشاط إنساني تراكمي متصل ومتواصل وثيق الصلة بالحضارة [4].

يكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة من الناحية الثقافية والحضارية لمنطقة متليلي الشعانبة بولاية غرداية، تتمثل في المحافظة على أحد أهم عناصر الهوية القومية للمنطقة، فالتراث عموماً والشفوي منه خصوصاً يعبر عن الهوية القومية والثقافية التي نسعى لإبرازها والمحافظة عليها وتدوينها من جهة أخرى. كما تزخر منطقة متليلي الشعانبة بعدة أشكال من التراث الشعبي الشفوي تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيلا عن طريق الرواية الشفوية من طرف الأجداد وكبار السن والمطلوب منا هو تدوينها للحفاظ على هذه الثروة الثقافية وكسب المعارف منها كما أنها تتميز بالبساطة والسهولة وتحمل في طياتها عبرا وحكما يستفيد منها الفرد في حياته.

إشكالية البحث: ما هي أشكال التراث الشعبي الشفوي بمنطقة متليلي الشعانبة؟ وما هي الطرق التي يستخدمها سكان المنطقة للحفاظ عليه من الاندثار؟

المحور الأول: مفهوم التراث ودلالاته المختلفة.

1- التراث المادي الثابت (The permenent material legacy): يتضمن جميع المنتجات الثقافية المخزونة.

2- التراث المادي المنقول (The transformed material legacies): يعتبر من المميزات الخاصة للتراث المادي وهو مرتبط بفن الكتابة .

3- التراث اللامادي (The non-material legacies): ويطلق عليه كذلك التراث الشفوي[5]. وهذا العنصر الثالث المسمى بالتراث اللامادي أو الشفوي هو الذي نود البحث فيه بمنطقة "متليلي الشعانبة "، وذلك لما له من الخصوصيات التي تفرض علينا أن نوليه أهمية كبيرة ولأنه تراث سهل وسريع التلف، والمقصود به هنا العادات والتقاليد وما تحمله هاتان الكلمتان من معان سامية تحضنها التقاليد الشفوية من حكم وأمثال وشعر ملحون

وموشحات ومن طبوع موسيقية غير مكبوثة وعادات اجتماعية وأخلاقية، يتعلق الأمر كذلك بالمعارف المرتبطة بالمهن والألعاب القديمة.

يجب أن ندرك كل الإدراك أن مجتمعاتنا ما تزال مجتمعات ذات تقاليد شفوية" [6].

والتراث اللامادي أو الشفوي له دوره الفعال كبعد اجتماعي واستراتيجي هام لا يجب إغفاله في عمليات التحديث والتنمية المعاصرة، كما أنه الحاضر بكل ما يحمله من معاني التجديد والتقدم الحقيقي للبشرية والارتقاء بها، وأن المشكلة لا تكمن مطلقا في كون ذلك ماضيا وهذا حاضرا وذلك مستقبلا، فكل منهم يحاول إن ينتسب لنفسه[7] .

2- دلالات التـــــــــراث: للتراث الشعبي أو(الفلكلور) أو المأثورات الشعبية كلها مسميات لعلم واحد هو(التراث الشعبي)، وينقسم هذا الأخير إلى أربعة أقسام:

1- المعتقدات والمعارف الشعبية.

2- العادات والتقاليد الشعبية.

3- الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.

4- الفنون الشعبية والثقافة المادية.

***فالمعتقدات:** هي ما يعتقده شعب معين من طقوس دينية أو عوامل طبيعية أو ظواهر لا منظورة كالتي تتعلق بالجن أو(الغيبيات).

***المعارف:** هي ما أتقنه ذلك الشعب من حرف وصناعات تقليدية ميزتهم عن غيرهم.

***العادات والتقاليد:** هي كل ما يتعلق بالاحتفالات والمناسبات والأساليب السائدة لذلك الشعب، كعادات الزواج والختان والأعياد وطرق استقبال الضيوف أو توديعهم.

***الأدب الشعبي:** هو كل ما يخص الشعر، أو النثر وبكل ما يحوي من قصص وأساطير أو أمثال أو أحاجى... الخ

***الفنون الشعبية:** هي فنون مثل الرقص الشعبي، بكل أنماطه وخصائصه، وتقع من ضمنها الألعاب الترفيهية .

***الثقافة المادية:** هي الآثار والأدوات الشعبية المستخدمة في ذلك المجتمع سواء أكانت لباسا أو أدوات منزلية أو زراعية أو خلافها[8].

المحور الثاني: التعريف بمنطقـــــة متليلي الشعانبـــة (جغرافيا، تاريخيا، سياحيا، ثقافيا)

تعد بلدية متليلي الشعانبة من المدن العريقة من حيث المنشأ كانت تابعة لعدد من الجهات قبل أن تصبح أحد بلديات ولاية غارداية تتربع على مساحة 7300 كلم2 في موقع لا يتعدى 40 كلم من مقر الولاية بينما تبعد عن العاصمة بـــ650 كلم.

وصل عدد سكانها في سنة 1998م 35427 نسمة، يميزها مناخ صحراوي جاف وحار صيفا قليل الأمطار وبارد شتاءا وعلى هذا الأساس تم الاعتماد على المياه الجوفية فإن طابع المنطقة يبقى فلاحي على حساب مجال الرعي الذي كان مقام في الأول خلال حقبة خلت، وتأتي من بعدهما بعض الصناعات التقليدية والوحدات الإنتاجية التي تساهم بقسط متواضع في اقتصاديات المنطقة ويبقى الجانب السياحي الأوفر حظا باعتبار أن البلدية تزخر بمعالم أثرية و تاريخية.

***أصل الشعانبة:** التحدث عن حاضر مدينة متليلي يمكن لأي كان أن يلتمسه، لكن ما يخفى على الأعين هو ذلك الماضي العريق لشعب هذه المنطقة وأصالته وهو ما يتُوق المرء إلى معرفته وسبر أغواره، فاعلم إذن أن قبيلة الشعانبة ينحدرون من قبيلة "علاق بن عوف من سليم بن منصور" من العدنانية المنتمين إلى الهلاليين وأجمعت المصادر على أن أوائل الشعانبة وفدوا إلى شمال إفريقيا إبان الفتوحات الإسلامية، وقد أسهمت تنقلاتهم في نشر الدين الإسلامي واللسان العربي وما ينضوي تحتهما من الصفات المحمودة من الأنفة والكرم، الإقدام، الشجاعة، الإخلاص والدفاع عن الوطن والدين، في حين نجد أن بعض الروايات المتواترة إلى أن أصل الشعانبة هي تركيبة لكلمتي "شعاع نبا" أو " شعاع بان" أي شعاع ظهر، وهي صفة لخصلة كانوا يتميزون بها وإلى غاية اليوم، ألا وهي كرم الضيافة، ومن ذلك أنهم كانوا قديما يشعلون النار ويبقونها مشتعلة ليلا ثم يلجئون إلى رمي التراب عليها نهارا للدلالة على مكان تواجدهم لعل تائها في تلك الربوع الخوالي أو قاصدا أو عابر سبيل يهتدي إليهم فينزل بينهم على السعة والرحب ومن تم غدت هذه الصفة ملازمة لهم، وبفعل التداول تداخلت الكلمتان لتصبح كلمة واحدة وهي " الشعانبة".

أما تسمية المدينة بمتليلي فلها قصة أخرى، من ذلك أن الشعانبة حينما وفدوا من شبه الجزيرة العربية مكثوا بناحية "فزان" بليبيا في منطقة اسمها "واد ليلي" حيث شيدوا قصرا هناك لازالت أنقاضه باقية للآن، وصادف أن رحل فريق منهم إلى منطقة متليلي الحالية فوجدوا أن هذه المنطقة تشبه تماما المنطقة التي جاءوا منها لوجود واد بها وأرض خصبة فقيل هذه بقعة "مثل ليلي" وبفعل التداول تلاحمت الكلمتان لتصبح متليلي.

***الاستقرار بمتليلي:** خلال الزحف الداخلي لهذا القبيلة والتنقل من منطقة لأخرى، استقر بهم المقام بمنطقة متليلي، وكان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وكما هو واضح فإن طبيعة المنطقة كانت تؤهل لمثل هذا الاستقرار، ولو أنه كان جزئيا في بدايته والمنطقة يخترقها واد كبير "واد متليلي" الذي يمتد على مسافة 350كلم، إلى نواحي ورقلة هذا الأخير ساعد على إيجاد أرض خصبة أنمت مجال الرعي الذي إحترفه الشعانبة في البداية وحول اهتماماتهم فيما بعد إلى الميدان الفلاحي الذي وجدوا فيه ضالتهم وبه أصبح هذان المجالان من أقوى الدعائم الاقتصاد بالنسبة للشعانبة، كما مكناهم من التمتع برغد العيش والانتقال إلى مزاولة أنشطة تقليدية وامتهان حرفة التجارة التي برعوا فيها وذاع صيتهم عن طريقها في مختلف المناطق الصحراوية والمناطق التابعة للدول المجاورة كمالي والنيجر وليبيا وتونس وغيرها[9].

* **الزَّي التقليدي:** يتميز الزي التقليدي المتليلي بالخصائص التالية :

***بالنسبة للنساء: هو ما يعرف بالملحفة، فهناك حرص كبير على الالتزام بـــ"الملحفة" كقيمة من القيم التي تتشبث بها بنات المنطقة الجنوبية الصحراوية، وهي رمز من رموز الثقافة التي توارثها الصحراويون جيلاً عن جيل على مدى قرون من الزمن.

والملحفة: عبارة عن قطعة ثوب طولها نحو 4 أمتار وهي ملونة بألوان مزركشة ترتديها المرأة في مختلف فصول السنة، وهناك لون خاص أبيض أو أحمر ترتديه الفتاة الشعانبية يوم زفافها وتضيف لها بعض الحلي الذهبية والفضية وهذه من العادات التقليدية الشعانبية في الزواج.

-القنبـــــوز: أو ما يعرف في بعض نوحي الجزائر بالحايك، وهو عبارة عن قطعة قماش بطول 4 أمتار فضفاضة دائرية لها فتحة واحدة من ناحية الوجه، وعادة يكون بلون أبيض أو أزرق ترتديها المرأة الشعانبية كسترة عند خروجها من المنزل.

** بالنسبة للرجال:

-القشابية: وهي عبارة عن عباءة مصنوعة من الصوف ووبر الإبل تُلبس في فصل الشتاء لتقي من البرد ولها قدرة هائلة في التدفئة، تمر صناعتها بعدة مرات، وهي من الصناعات النسيجية التقليدية التي تتميز بها مناطق الجنوب الجزائري يصل سعرها الى ما يقارب 3 ملايين سنتيم.

-البرنوس: عبارة عن قطعة قماش مصنوعة من وبر الجمل، يلتف به الرجل الصحراوي في فصل الشتاء، و البرنوس يعبر عن فخامة وهيبة الرجل الصحراوي وطريقة صناعته تمر بنفس مراحل صناعة القشابية .

العمامة أو (الشاش): هي عبارة عن قطعة من القماش مستطيلة تفوق في طولها ثلاثة أمتار يلفها الرجل الصحراوي حول رأسه لتقيه من البرد والحر، تكون بألوان مختلفة.

*القندورة أو (العباءة) أو (الذرعة): وهي عبارة عن ثوب فضفاض له فتحتان واسعتان على الجنبين خُيِّط من أسفل طرفيه، وله جيب على الصدر وهي عادة ما تكون بأحد اللونين الأبيض أو الأزرق، ويلبس تحت "القندورة" سروال فضفاض يقارب شكله شكل السراويل المدورة التقليدية .

***الرياضة والألعاب التقليدية:** من أهمها:

لعبة السيق: تتكون هذه اللعبة من ستة قطع من جريد النخل على إن تقسم الجريدة على اثنان وجه أخضر والوجه الداخلي بلون أبيض.

لعبة الضامة أو (الخربقة): تلعب على الرمل تشبه لعبة الشطرنج مشهورة عند الرجل الشعانبي ولا زالت تلعب لحد الآن .

2-التظاهرات والأعيـــاد :

*وعدة الشيخ والعلامة أحمد بلكبير: يُحتفل بها سنويا وهي عادة متوارثة من جيل لآخر تدوم هذه الوعدة مدة أسبوع كامل، تقام فيها استعراضات فلكلورية كسباق الخيل، وتذبح

فيها الجمال، وتنظم مأدبة عشاء لضيوف من المدينة ومن خارجها كما يتوج فيها عرسان في حفل زفاف جماعي لشباب المنطقة، كما يتوج فيها كذلك حفظة القران الكريم.

*وعدة سيد الحاج أحمد بن بحوص: وتنظم وعدة سيد الحاج أحمد بحوص يومي الخميس والجمعة من أحد شهور الخريف بحي شعبة سيد الشيخ بالمدينة، وهي وعدة تقام فيها تظاهرة فلكلورية سنوية يتم إحياؤها من طرف عشائر وقبائل كثيرة من الأبيض سيدي الشيخ ومدينة متليلي الشعانبة، وحتى من خارج الولاية، يتم فيها تنظيم مأدبة عشاء وتتويج بعض من العرسان وحفظة القران الكريم.

*وعدة مولاي سليمان الشريف: هي أيضا وعدة سنوية، تنظم بنفس وتيرة الوعدات السابقة.

*عيد المهري: يحتفل به كل سنة، يقام فيه سباق الجمال "المهري" يتميز باستعراضات فلكلورية متنوعة كالرقص والغناء على فرق مختلفة كفرقة الدندون والقرقاب والقصبة والغايطة...الخ، ويتم فيه بيع الأشياء التقليدية كالألبسة والزرابي وغيرها.

*الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: يحتفل بهذه المناسبة في ذكرى مولد الرسول (ص) تقام فيها تجمعات شعبية وتنظيم لحفلات وأناشيد دينية بمساجد المدينة، وتشعل فيها المصابيح، وهناك عادة قديمة تتمثل في إشعال الأطفال للشموع وتحضير النساء لوجبات عشاء متنوعة.

المحور الثالث: التراث الشفوي وأنواعه في منطقة متليلي الشعانبة.

1-المثل الشعبي: "هو قول وجيز يعبر عن خلاصة تجربة، مصدره كامل الطبقات الشعبية يتميز بحسن الأسلوب وجودة التشبيه له طابع تعليمي ويرقى على لغة التواصل العادية"[10].

ويرى "**التلي بن الشيخ**" : أن المثل الشعبي أقدر الأنواع الأدبية على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة، وأقربها الى الصدق في التعبير عن التناقضات الحياتية المتداخلة.

وأورد "**لأبي سنة إبراهيم**" (فلسفة المثل الشعبي) "هو جملة أو جملتين تعتمد على السجع تستهدف الحكمة والموعظة "[11].

***أمثلة عن بعض الأمثال الشعبية المتداولة في المنطقة :**

" لي بدلك بالفول بدلو بقشورو"

" الحديث بلا معنى مسوس "

" أقلب القدرة على فمها تخرج الطفلة كي أمها "

" لي فاتو الطعام يقول شعبت ولي فاتو لكلام يقول سمعت"

" لي فاتو زمانو ما يطمع في زمان الناس "

" ما تضرب حتى تقرب وما تصاحب حتى دجرب "

" جيبو فاهم واللاه لا قرا "

" فرط في كل صحابك وما تفرطش في صاحب بوك "

" كي كان حي مشتاق التمرة وكي مات علقولو عرجون "

" إلى كان امو بصلة وبيو ثوم ماعليه لوم "

" ما عرفوه باه مات قي عزاوه وجاو "

" لي بقا يكبر شانو يحرث مع قرانو "

" لي ما هو موالف بالبخور يحرق كساتو "

2- اللغــز الشعبي: واللغز هو التلاعب اللفظي أو هو خطاب لغوي يمتاز بالغموض والالتباس والإشكال والالتواء في بنيته اللغوية الشكلية، وأي نعت باللغز فهو غامض وغير بائنة دلالته [12] .

***أمثلة:**

" ولادها ولتدهم في كرشها، رباتهم ودارت الحايك بيناتهم " والحل هو: الرمانة

" بقرتنا الصفرة مزوقة من برا متحامين عليها عشرة، ما سكتت من الهدرة " والحل هو: الدربوكة.

" ساكنة فالواد، الصغيرة ما تكبر والكبيرة ما تصغر" والحل هو: الحجارة.

" شانو عالي والناس تسمع فيه يقول اللي بقى وما كاين اللي يرجع عليه" والحل هو: الإمام

"راه راه ومكانش" والحل هو: البرق.

" عساس بلا وصاية وفقيه بلا قراية" والحل هو: الكلب

" عجوز مكمشة تحرمنا من العشا" والحل هو : الفلفلة

" زوج بنات قد قد، وحدة تبيع وتشري والأخرى ماشافها حد" والحل هو: الدنيا والآخرة.

" أبيض فرطاس عند ماليه عبادة شدتو الموت من الراس ومايذكرش الشهادة " والحل هو: الدخان .

" ملزم نحاس في لرض قاس" والحل هو: الجزر

" تبدا بالسين ما هي سلسلة ماهي سكين تسولها بالصمت دجاوبك فالحين" والحل هو: الساعة.

" من تحت ثلوج ومن فوق مروج" والحل هو: اللفت

" طبسي بشواكلو وواحد مياكلو قي لمريض بالعلة ولا ساب الملة" والحل هو: شهر رمضان .

" جماعة في حانوت ولي يخرج يموت" والحل هو: عيدان الكبريت.

" حلو خير من العسل وثقيل من الرصاص ما يتباع في سوق مايشروه ناس" والحل هو: النوم.

" تمشي بلا رجلين وتبكي بلا عينيين" والحل هو: السحابة.

" حنه رافدة جدي وجدي رافد وليداتو" والحل هو: القدر والكسكاس.

" كيفو كيف لعدو الدقة في قلبو والخرصة في جنبو" والحل هو: المهراس.

" يزويك ويلويك ويديك حتى للخلى ويخليك" والحل هو: العطش...الخ .

3-الحكاية الشعبية: يعتبر مفهوم الحكاية الشعبية بمعناها الواسع والشامل، سياقة أحداث واقعية حقيقية أو خيالية دون الالتزام بأسلوب معين في القص أو الحكي، وتختلف من فرد لآخر من حيث الطريقة التي تسرد بها الأحداث في حين أنها تتضمن مجموعة من الأحداث والأخبار والأفعال والأقوال سواء كانت حقيقية مأخوذة من الواقع، أو من الخيال الذي يطلقه الفرد أو المبدع الشعبي ليصور الأحداث التي تشكلت في مخيلته ويريد سردها في قالب فني حكائي لإضفاء نوع من المتعة والتشويق على الحكاية ليستمتع بها المتلقي[13].

* أمثلة من الحكايات الشعبية المشهورة في المنطقة:

حكاية 01: حكاية الولي الصالح "سيدي محمد الزيغم بن سيدي محمد بو الشريرات": وهو ولي صالح من أولياء متليلي الشعانبة يتواجد ضريحه حاليا في حي الدخلة عند "آل سيراج" الذين هم أبناؤه له ستة ذكور وبنت وهم:

لالة المرضية، سيدي أعمر، سيدي الحاج محمد، سيدي الحاج الطاهر، سيدي الحاج قويدر، سيدي الطيب، سيدي معطاالله (رحمهم الله) يرقد أولاده كلهم بالقرب منه ومنهم من يرقد معه في نفس الحجرة، أما ابنته المرضية فترقد في ضريح بولاية ورقلة مع زوجها وأبنائها، زوجته ستي رحمها الله.

وهنا تكون قصة زواجه بها، تحكي جدتي:

كانت لالة ستي طفلة باهية فالزين وطويلة القد وعينيها عينيين حبارة، تلاقى بيها سيدي محمد بوالشريرات فالعرق الأبيض، وكان هو في وقتها شيباني كبير، مرة خلاتو القافلة خاطر مايقدرش يمشي، دجي لالة ستي من بعيد تلقاه، شافت الشيباني قاعد مايقدر يتحرك، سولاتو مالك يا شيخ؟ قالها القافلة راحت وخلاتني وانأ مانقدر نمشي، ترفدو لالة ستي فوق اكتافها وتمشي بيه تقص في طريق القافلة راها مرة تمشي مرة تجري بيه حتى وصلت بيه لاهلو، وكان هذاك وين شاف وجها خاطر كي رفدتو كانت متنقبة كي الفارس، كي شافها انبهر في زينها وسولها الشيباني سيدي محمد على اسمها ولمن تكون (حسب الرواية) وراح يقول فيها:

ستي بيضا والعرق لبيض وتاها عالم ربي يالزيغم الاجبناها "

وطلبها من أهلها وتزوج بيها الشيخ الكبير محمد بو الشريرات، بصح مضناش معاها يعني ماجابش معاها أولاد، وفي ليلة من الليالي (حسب الراواية) حلم منام وهو يقول فيه:

ما يرقد قي شيخ كبير كيف أنايا و ولادو سبعة متجاورين عليه"

وفي ذاك الوقت كانت لالة ستي حداه وتسمع فيه وهو يقول في هد لكلام، حتى نوضاتو: "يا الزيغم" واش شفت في منامك؟ وسولاتو على كلامو لي كان يقول فيه: قالها أنا مانعرف شئ تنهتت لاله ستي وقاتلو واش كان قال وهو راقد، رد عليها بكلمة "سبحان الله ربي عندو ياسر"، فات شهر حتى صبحت لالة ستي حامل وجابت سبع ولاد لي

ذكرناهم فالبداية وهو في عمر كبير عطاه ربي هد النعمة خاطر كان راجل كريم و تقي ورزقو ربي بهد المراة طاهرة في اخلاقها وزينها كي النجمة الضواية كان شيخ يداوي بالرقية زمان وحافظ القرآن الكريم و أولاده اليوم وأحفاده وابنائهم يطلق عليهم اسم "المرابطين" يتواجدون حاليا في متليلي الشعانبة.

وقد وضع حجر الأساس وبنى المسجد العتيق بالقصر القديم حاليا بمتليلي .

حدثني جدتي أيضا: كان زمان فيه رجل عندو رزق كبير غنم وابل وكان متزوج زوج نساء وجايب معاهم ذرية، هد الراجل كان بخيل ما يكرم ضيف ما يخرج زكاة، وحد المرة جاه سفر لمكان بعيد، ايا قال للراعي لي عندو اخزرلي للزوايل (المواشي) واحرص عليهم حتى نجي، كي عرفو زوجاتو بسفرو وخرج هو راح، راحو للراعي فالمرعى وطلبو منو يذبح ليهم شاة ياكلو منها خاطر هذي الفرصة لي يشبعو فيها ياكلو حتى اللحم وهو ما راحش يعرف خاطر مش هنا.قالهم الراعي ماعليش انتم روحو للدار وأنا نذبح ونجيبلكم كلش ساجي، كي جا الراعي يذبح حتى هبطلو ملك وجاه وراء ظهرو وشدو من اليد، قالو كلمة: اسمع ماتقدرش تذبح لهد النساء وولادهم ياكلو من هد الرزق خاطر راه مش رزق ابوهم حار الراعي فالكلام وبطل الذبح، راح للنساء وهو مذهول ومفجوع وقالهم واش صرا (أنا ياودي مانقدرش نذبحلكم وتاكلو من رزق خاطيكم) وسرد عليهم القصة.

ستناو النساء بعد مدة حتى جا زوجهم من السفر وقالولو واش صرا، استغرب الزوج وغضب وماعجبوش الحال كيف الرزق مش رزقو وهو حياتو كاملة تاعب عليه، ايا واش دار؟ راح باع كل هذاك الرزق ودار دراهمو في شكارة وخباها في جدع شجرة ميتة وخلاها تم، وفي جيهة بعيدة عليهم كان وحد الشاب حطاب مسكين عايش هو وامو في خيمة و فقراء يكرمو الضيف كون بالماء، أيا في ليلة من ليالي الشتاء جات مطر قاوية وجا سيل وواد كبير جرف كل يابس وأخضر، كي جا الصباح خرج الشاب وقال لامو: أنا يا أما نروح كانش ما نسترزق على روحي راه البرد ونحطب ونبيع ليوم، وهو يحطب يلقى هد الشكارة تاع الدراهم في الشجرة الميتة، يرجع لامو فرحان لي لقى هد الكنز، امو كانت امراة حكيمة قاتلو: يا بني وين لقيت هد الخير وسرد عليها الشاب

الحقيقة وين لقا هد الخير، قاتلو شوف يا بني حنا هد الخير مزال مش عارفينو لا لينا لاخاطينا روح للسوق وبرح عليه، لايكون مولاه يدور عليه، خرج الشاب للسوق يبرح على الشي الضايع الي لقاه، لكن ما لقى حتى واحد يبحث عليه، رجع لامو قالها يا امي أنا راني برحت ما لقيت حتى واحد يسول على هد الرزق، قاتلو شوف يا بني نصبرو ونشوفو درك حنا نخبوه حت يبان مولاه، والى مابانش مولاه نتصدقو منو روح يا زمان أيا يا زمان يجي الراجل في نهار يحوس على الشجرة لي خبا فيها مالو واذا بيه مايلقاهاش، تخلع وصار كي المجنون يبحث عليها، يرفد حصانو ويجي رايح، راه يمشي يمشي فالطريق، حتى تعب وحبط عند هد العجوز كي شافتو العجوز، وكان يبان عليه التعب والفقر ضيفاتو وسولاتو على طريقو قالها انا رايح للسوق وهو كانت نيتو يبحث ويستخبر على كاش انسان صار مرفه و عندو مال لعلى يكون هو لي لقى الشكارة لي خبها، المهم العجوز ضيفاتو ودارت الواجب معاه، وقاتلو اصبر حتى يجي ابني ويديك للسوق، مابين جا ابنها قالت في نفسها انا نحضر زوادة لهد المسافر يديها معاها لعلى يجوع في طريقو وحضرت هد العجوز خبزتين ودارت فيهم شوي من الدراهم في وسط الخبزة وغلقتها وعطاتها للرجل باش كي يكون مسافر ويجوع ياكل منهم ويلقى صدقة من الداهم لي لقاها ابنها، وصل الشاب الرجل للسوق وخلاه وتفرقو، الرجل البخيل كي لقى الخبز خمم يبيعو ويدي دراهمو، حطو عند البياع، حتى يجي الشاب صدفة شاف الخبز عجبو قال في بالو أنا اليوم ندي لأما خبز جاهز ما عندها علاه تعجن، شرا الشاب الخبزات ورجع للخيمة، وعطا لامو الخبز باش توجد الغداء، مع جات الام تكسر فالخبز حتى لقات الدراهم لي خباتها فيه، راحت لابنها وسولاتو منين شرا الخبز، جاوبها الشاب: انا يا اما لقيت الخبز يتباع فالسوق عجبني شريتو باش ما تتعبيش اليوم وتعجني جبتو جاهز خيرلك، سكتت العجوز شوي وقاتلو : "أيواه يابني صح هد الرجل رزقو موش ليه". وهنا تأكدت بلي هد الخير لي لقاه ابنها في جدع الشجرة هو رزق من عند ربي موجه ليه[14].

4-الشعر الشعبي: وهو عبارة عن قصائد شعرية تصاغ باللغة العامية للمنطقة، ينظم في أغرض شعرية متعددة كالغزل والمدح والرثاء وغيرها، وقد اشتهر وازدهر كثيرا هذا

الشكل من التراث في المنطقة وذلك لكثرة الشعراء المتخصصين فيه، من بينهم المرابط المدعو الحاج سيراج عبدالله و المرحوم بلخضر قدور وحمزة العيد، والشاب شامخة خالد...الخ ولهم دواوين شعرية مطبوعة في هذا النوع .

المحور الرابع: أهمية تراث المنطقة في تعزيز روابط الأمة و هويتها.

نجد في مناطق الجنوب الجزائري تنوعاً في اللهجات، فهناك التارقية والزناتية والحسانية والشلحة والمزابية، وغيرها إضافة إلى العامية الجزائرية التي أصبحت كلها حاملة لهوية وفكر وتاريخ لا يمكننا أن ننفصل عنه.

إن ثراء مناطق الجنوب الجزائري بمختلف الموروثات الشفوية: كالأمثال الشعبية، الشعر الشعبي، الألغاز، الأغاني الشعبية.... وغيرها من الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى، لها أهمية كبيرة في تعزيز روابط الأمة وهويتها، ففي المقام الأول يعطي للشعب الصحراوي والجزائري بصفة عامة هويته الخاصة التي تميزه عن الشعوب الأخرى والتي بدورها تضع هذا الشعب في مصاف الشعوب التاريخية التي لها تاريخ عريق تحتفي به، والأجمل هو أن يكون هذا التاريخ العريق قد أسهم في تطوير الشعوب الأخرى وتمكن أيضا في أنه كنز من كنوز الأمة، به تفرض وجودها وتبث ذاتها وتحقق طموحاتها، وهذه الموروثات سواء كانت مادية أو معنوية، لها حضور دائم في ذهن المجتمع لأنها أثرت في حياة الناس الذهنية وتأثرت بها، وتعد كذلك إحدى الوسائل الهامة التي تُعرِّف بطبيعة ذلك المجتمع وبنيته، كما أنه يكشف عن خصوصية كل أمة كونه سجل حقيقي لمختلف الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية "بطريقة الخاصة والبدائية، فشكلت رصيده الثقافي والأدبي وبالتالي استمرت حية توارثها أبناؤها على مر العصور.

إن علاقة سكان الجنوب الجزائري وخاصة منهم الشعانبة بتراثهم، علاقة عضوية حيث أن هويتهم القومية برمتها تتغذى من التراث، لارتباطه في وعيهم بأبعاده الحضارية والتاريخية والدينية والسياسية على حد سواء، فتعلقهم بما يختزنه ماضيهم من إنجازات سياسية و عملية وأدبية أشد من تعلق أي إنسان أخر بتراثه شرقا وغربا.

وبذلك فالإنساني الشعانبي ينتمي انتماء كليا إلى تراثه، ويتباهى به معنويا دون تحفظ حيث يشعر بأن تعلقه به هو امتداد لتعلقه بتصوره للدنيا والكون، وحتى لما بعد الحياة فيتخذ

التراث بعدا روحانيا ونفسيا مما يضعه خارج دائرة تفكيره، وداخل دائرة التقليد فالمساس بالتراث غير وارد عنده، لأن هذا التراث له قيمة عليا يتعامل معها بشكل مثالي لكن رغم ذلك لابد من الإشارة إلى أن كثيراً من عناصر التراث الشعبي في الجنوب الجزائري ما تزال تعاني من مشكلة الاندثار التي جعلت كثيراً من تلك العناصر التراثية تَضيع بسبب عدم تسجيلها وتدوينها، لذلك فنحن نهيب بالباحثين والدارسين للاهتمام بهذا الجانب، وإنقاذ ما تبقى من هذا التراث الأدبي الشعبي بتدوينه وتحقيقه ودراسته وتحليله لأنه جزء من ذاكرتنا وتاريخنا بل ومن شخصيتنا.

خلاصة القول:

تزخر منطقة متليلي الشعانبة بولاية غرداية بكم هائل من الموروث الثقافي الشفوي الشفوية منها: الأمثال الشعبية، الألغاز الشعبية، الحكاية الشعبية، الشعر الشعبي وغيرها من الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى، ولا شك في أن هذا الموروث ما يزال بحاجة إلى تدوين وتسجيل وجمع وتصنيف وإشهار وتعريف واستثمار وتسويق ولا يتأتى ذلك إلا إذا شعرنا بالمسؤولية الملقاة على عواتقنا تجاهه جميعاً ولا بد من الشعور بداية بما يمثله لنا هذا التراث ومن ثم الإحساس بضرورة إنقاذ ما تبقى منه خشية ضياعه كليا، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا تأكدنا بأنه يشكل جزءا لا يتجزأ من شخصيتنا وهويتنا وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

الهوامش:

(1): ينظر: فاروق خورشيد، عالم التراث الشعبي العجيب، دار الشروق- بيروت، ط1، سنة 1411هـ/1991م، ص 228.

(2): ينظر: شنيتي محمد البشير، التراث الثقافي ودوره في البحث وتثمينه، مجلة آثار صادرة عن معهد الآثار-جامعة الجزائر، العدد 5 ، سنة 1999، ص 16

(3): ينظر:غراب سعد، كيف نهتم بالتراث، سلسلة مجلة تصدر عن وزارة الثقافة الإعلام، الدار التونسية للنشر 1990، ص 13

(4): ينظر: التليسي خليفة محمد، النفيس من كنوز القواميس، الدار العربية للكتاب، سنة 1999، ص193.

[5]: ينظر: بويحياوي عز الدين، مقال بعنوان(المحافظة على التراث الوطني من وجهة نظر عالم الآثار)، مجلة التراث الأثري عمران وعمارة–مجلة ثقافية دورية علمية تصدرها وزارة الثقافة الجزائرية، العدد 16 سنة 2007، ص 17 .

[6]: ينظر: بويحياوي عز الدين، نفس المرجع ص19.

[7]: ينظر: العوري حمودة، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية، عالم الكتاب للنشر جامعة صنعاء ، ط 2، سنة 1981، ص 89

[8]: ينظر: مفهوم التراث، عن منتدى مدرسة بلقاسم بن حبسة طريق تازولت باتنة منتدى التربية والتعليم الثانوي– البحوث العلمية، الخميس 2011/09/22، 10:20 سا

[9]: منقول عن تقارير رسمية ومطويات من بلدية متليلي ومتحف المجاهد بالمنطقة.

[10]: ينظر: أحمد زغب، الأدب الشعبي بين الدرس والتطبيق، مطبعة مزاور–الوادي ط1، سنة 2008، ص 88 .

[11]: سعيدة حمزاوي، رؤية نقدية لمنطلقات التفكير في الأدب الشعبي،(التلي الشيخ: الشعر، القصة، المثل)، مجلة الأثر للآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة، العدد 5 مارس 2006، ص225.

[12]: ينظر: سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة 1998، ص 98 .

[13]: ينظر: عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، سنة 2008، ص 540.

[14]: رواية شفوية عن احدى الجدات.